

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور، الأحزاب، المجادلة، التحريم

أ. آمال الصادق عبد الله البشتي  
كلية التربية الزاوية - جامعة الزاوية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة للناس  
أجمعين

أما بعد:

فقد أكرم الله - تعالى - الأمة الإسلامية بأن جعلها خاتمة الأمم، وأرسل رسوله  
الكريم سيد المرسلين وخاتم الأنبياء نبينا محمداً ﷺ وأنزل عليها خير الكتب  
وخاتمها ليبنى مجتمعاً كريماً صالحاً لكل زمان ومكان، وكان من أعظم الأسس  
التي تساعد على أهلية المجتمع لهذه الخيرية الكريمة توفير الكرامة لأفراد المجتمع  
رجالاً ونساءً.

من أجل هذا اعتنى القرآن الكريم عناية كريمة بالمرأة، وحفظ لها حقوقها  
المالية والعلمية والاجتماعية، وأقر لها بحق الكرامة الإنسانية، وبنى فيها القدرة  
على اتخاذ القرار الصائب والتعبير عنه بكل حرية، خصوصاً أن تاريخ المرأة في  
الجاهلية كان ركماً من المعاملة القاسية والقتل والإهانة.

وقد جاء التطبيق الفعلي لهذه المفاهيم من خلال واقع السيرة النبوية المطهرة  
التي كانت مثلاً رائداً في تكريم المرأة بوصفها إنساناً له مقوماته الحضارية في  
المعاملة الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، سواء أكانت عضواً في  
أسرتها، أم كانت عضواً في مجال عملها التتموي الاجتماعي المتعدد المجالات.

ونظراً للدورة التتموية الحديثة وسرعة المتغيرات العصرية، ومع غياب بعض  
المفاهيم القرآنية الكريمة عن مجريات الواقع في المجتمع المسلم عامة، والمجتمع

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

الليبي خاصة كان لتغييب ثقافة الخطاب عن تربية المرأة الدور الكبير في انتقاص حقوق المرأة، وتعطيل قدراتها ومهاراتها التنموية، وأحياناً بسبب قصور بعض أنواع التربية الاجتماعية التي تسهم في كبت المهارات اللفظية، ومهاجمة الخطاب لدى المرأة.

وكان لابد من التركيز على بناء مفهوم الخطاب مع المرأة سواء في مجتمع الرجال أم في مجتمع النساء، لعلاج كثير من السلبيات الناشئة عن عدم نشر ثقافة الخطاب في المجتمع، وذلك بالرجوع إلى النبع الصافي من القرآن الكريم والسنة المطهرة في توضيح مفهوم الخطاب مع المرأة، والآثار الإيجابية المترتبة على التعامل بالخطاب على الفرد والمجتمع.

إن هذه الإشكالية أساسها قائم على (إن المرأة ملزمة في التعاليم الدينية الإسلامية بضوابط تنظم حركتها، وتكون تلك الضوابط محددة لحريتها - في الظاهر - والخطاب القرآني يكرم المرأة في تأصيل حقوقها الاجتماعية ويلزمها بمسؤوليات مقابل تلك الحقوق)، وتحت هذه العبارة تندرج مجموعة من التساؤلات من بينها:

- ثقافة الخطاب هل يمكن اكتسابها؟
- هل اعتمد القرآن خطاب المرأة وسيلة للإقناع؟.
- هل يمكن استنباط الأحكام من خلال خطاب المرأة الذي ورد في القرآن الكريم؟.
- هل هناك علاقة بين ثقافة الخطاب مع المرأة وبين سلامة وصحة الأسرة والمجتمع المسلم؟.

كل ذلك يمثل إشكالية استوجبت التعرض لهذا الجانب بما يكشف الغطاء ويميط اللثام ويزيل الإبهام ويرسم الصورة الكاملة للمرأة من خلال (الخطاب التربوي للمرأة في القرآن الكريم)، وحتى نصل إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، سلكنا المنهج الاستقرائي التحليلي، بذكر آيات من خطاب المرأة في القرآن الكريم، سواء

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

أكان بطريق مباشر أم غير مباشر، واستنباط بعض الفوائد الجلية والآثار الجميلة لترسيخ أسلوب الخطاب في الأسرة والمجتمع. من هنا جاء هذا البحث متضمناً: مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً ومفهوم التربية لغةً واصطلاحاً، ومفهوم الخطاب التربوي، ثم تركزت الدراسة على الخطاب التربوي للمرأة في سورة النور - الخطاب التربوي للمرأة في سورة الأحزاب - الخطاب التربوي للمرأة في سورة المجادلة - الخطاب التربوي للمرأة في سورة التحريم. ثم أنهيت البحث بخاتمة رصدت فيها أهم نتائج البحث وتوصياته .

**مفهوم الخطاب لغةً:** الخطاب مصدر رباعي على وزن (فعل) مشتق من الفعل الرباعي (خاطب) فهو عند ابن منظور: " الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان"<sup>(1)</sup>.

وعند ابن فارس: " كل كلام بينك وبين آخر، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً"<sup>(2)</sup>.

وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن بصيغة المصدر، وصيغة الفعل. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [ص : 20] ، يقول الطبري: " الخطاب المخاطبة"<sup>(3)</sup>، وقال الزمخشري " فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه"<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود : 37 و المؤمنون : 27]، يقول الطبري: "ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك فأكسبوها تعدياً منهم عليها بكفرهم بالله - الهلاك والغرق - ، إنهم مغرقون بالطوفان"<sup>(5)</sup>.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

**مفهوم الخطاب اصطلاحاً:** إن أكثر ما تردد الحديث عن معنى الخطاب عند علماء الأصول لدى بحثهم لمعنى الحكم الشرعي؛ لأن في معرفة معنى الخطاب فائدة في معرفة معنى الأحكام الشرعية، فيذهب المرجاني إلى أنه: "المبحوث عنه في علم الأصول مما يقع به التخاطب ويصح فيه التساؤل والتجاوب، ويمكن توجيهه للإفهام وبيان المقصد والإفهام، وذلك إنما هو خطابات الله تعالى التي تضمنها كتابه الكريم، وحديث نبيه - الشريف وخطاب النبي - لمن بلغه من الموجودين وقت النزول وورود الوحي ومن يوجد بعده بلا فرق"<sup>(6)</sup>.

وعرفه طه عبد الرحمن تعريفاً جامعاً لمعاني المتقدمين والمعاصرين فقال: "إن المنطوق به - أي الخطاب - الذي يصلح أن يكون كلاماً، هو الذي ينهض بتمام المقنضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً، إذ حدّد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً"<sup>(7)</sup>.

**مفهوم التربية لغة:** يرجع أصل كلمة التربية إلى أصول ثلاثة هي:

**الأول:** ربا، يربوا، ربوا، ورباء أي نمى وزاد، وأربيته نميته<sup>(8)</sup>، وفي القرآن الكريم ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: 39]؛ أي فلا يزداد، وقوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 226]، "أي ينميها في الدنيا، ويضاعف أجرها في الآخرة"<sup>(9)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَبِأَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5].

**الثاني:** ربي يربي بمعنى نشأ وترعرع، وربوت ربوا وربوا وربت ربا، وربيا؛ أي نشأت فيهم، ورببيت فلانا أربيته تربية؛ أي غدوته<sup>(10)</sup>.

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

الثالث: ربّ يربُّ، أي رباه وأصلحه، ومنتَه وحضنه، وربّ زيد الأمر إذا ساسه وقام بتدريبه، وربّاه؛ أي أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولة، ومنه قيل للحاضنة رابّة وربّية؛ لأنها تصلح الشيء، وتقوم به، ورببت الأمر أربّه ربّاً أي أصلحته ومنتّته وأجبرته وطبّيته<sup>(11)</sup>.

من هذه التعريفات اللغوية يتضح أن لفظ التربية في معاجم اللغة يدور حول الإصلاح والرعاية، والقيام بأمر المتربي، و الزيادة، والنمو، والتنشأة الملازمة، وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني.

**مفهوم التربية اصطلاحاً:** وضع علماء التربية الحديثة تعريفاتهم المختلفة للتربية بناء على الأصل اللغوي لكلمة التربية، "فقد اختلفت تعريفاتهم باختلاف نظرة المربيين وفلسفتهم في الحياة ومعتقداتهم التي يدينون بها"<sup>(12)</sup>، قال البيضاوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 1]. " الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وُصف به تعالى للمبالغة"<sup>(13)</sup>. وقال الأصفهاني: " الرب في الأصل التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحلاً إلى حد التمام"<sup>(14)</sup>.

ونظر الإسلام إلى التربية على أنها "عملية تفاعل بين الفرد والبيئة الاجتماعية المحيطة به، مستضيئة بنور الشريعة الإسلامية بهدف بناء الشخصية الإنسانية المسلمة المتكاملة في جوانبها كلها، وبطريقة متوازنة"<sup>(15)</sup>.

**مفهوم الخطاب التربوي:** حدده بعض الباحثين بأنه: " اللغة المعبرة عن جملة من التصورات والمفاهيم والاقتراحات حول الواقع التربوي، وصفاً وتحليلاً، ونقداً، واستشرافاً لمستقبله، أو حول علاقة الوجود بين التربية ومجتمعها"<sup>(16)</sup>. وعرفه

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

عبود بأنه "الكلام الذي يدور حول التربية، وأوضاعها وقضاياها ومشكلاتها وهمومها، سواء أكان هذا الكلام كلاماً شفويًا أو كلاماً مكتوبًا وسواء أكان هذا الكلام تعبيراً عن فكر علمي منظم، أو كلاماً مرسلاً عاماً. فإن هذا الكلام وذلك إنما يتشكل في عقل صانع القرار التربوي ومتخذه، ليتحول إلى آلية عمل تربوي على نحو أو آخر" (17).

وعرفه جابر محمود بأنه "نوع من الاتصال الإنساني عبر وسيلة من الوسائل لإيجاد أرضية مشتركة من التواصل والتفاعل بين المرسل والمستقبل" (18).

للخطاب التربوي في القرآن الكريم مساحة واسعة تتعلق بالمرأة المسلمة، لأن الإسلام واجه القضايا والمواقف التي تعيشها المرأة في واقعها من خلاله، فكان الخطاب هو الوسيلة لتقويم الانحراف وإصلاح الذات والتأصيل للقيم الإنسانية الجديرة بالخلود، فتعود المرأة إلى إنسانيتها الصافية التي يريد خالقها، وتنطلق في تصرفاتها وأفعالها وأقوالها مما جاء به دينها الإسلامي، ولا تتحرف عنه يمنة ولا يسرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

ولذلك لم يخرج خطاب القرآن الكريم للمرأة المسلمة في كثير من المواضيع عن ذلك، وقد تعددت الآيات التي تشير إلى ذلك، منها:

أولاً- الخطاب التربوي للمرأة في سورة النور:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الذِّينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿النور: 31﴾.

فهذه الآية نور للمرأة المسلمة، لأن الله عزوجل أراد من خلال هذا الخطاب أن يرسم للمرأة أرقى ألوان الحياة الفاضلة، التي تقوم على الطهر والعفاف والنقاء، فهي تأمرها بغض البصر، كما تأمرها بصيانة عرضها عن كل ما لا يليق.

ومع أن النساء يدخلن في خطاب الرجال على سبيل التغليب، إلا أن الله - تعالى - خصهن بالخطاب هنا بعد الرجال، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...﴾، لتأكيد الأمر بغض البصر وبالتحلي بالعفاف، ولبيان أنه كما لا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة إلا في الحدود التي أحلها الله - تعالى -، فكذلك لا يحل للمرأة - أيضاً - أن تنظر إلى الرجل إلا في الحدود المشروعة، لأن علاقته بها كعلاقتها به، ومقصده منها كمقصدها منه ونظرة أحدهما إلى الآخر على سبيل الفتنة وسوء النية تؤدي إلى الشرور والآثام.

والمقصود بقوله - سبحانه -: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: أن على كل أنثى بالغة ألا تظهر شيئاً من جسدها أمر الله - تعالى - بستره، إلا ما جرت العادة بإظهاره وهو الوجه واليدان.

وقوله - سبحانه -: ﴿وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة، حتى لا يطلع أحد من الأجانب على شيء من ذلك، فهي أمر للنساء بالحجاب الشرعي لأنه شريعة محكمة وفريضة ثابتة؛ لصيانة كرامة المرأة والمجتمع عامة؛ ولتدعيم مبدأ العفة فتأمن هي الفتنة على نفسها وتؤمن عدم فتنة الرجال بها، فالفتنة حاصلة لكل منهما بالآخر، وإن كانت فتنة الرجال بالنساء أعظم.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: 14]، فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك<sup>(19)</sup>، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن، أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن ونحوهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلي، على خلاف نساء الجاهلية.

والمراد بزینتهن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: الزينة الخفية، وهي ما عدا الوجه والكفين، كشعر الرأس والذراعين والساقين، فقد نهى - سبحانه - النساء المؤمنات من إبداء مواضع الزينة الخفية إلا لمن استثناهم سبحانه - بعد ذلك، وهم اثنا عشر نوعاً منهم: الأزواج، والآباء، وآباء الأزواج، والأبناء، وأبناء الأزواج، والإخوة، وأبناء الإخوة، ويلحق بهؤلاء المحارم: الأعمام، والأخوال، كما يلحق بهم النساء والخدم والرجال الذين تقدمت بهم السن والذين لا رغبة لهم في النساء إلا من حيث العون والمساعدة، وكذلك الأطفال.

والمقصود بقوله - سبحانه - ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنَ زِينَتِهِنَّ﴾: نهى المرأة المسلمة عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنهما إثارة الشهوة أو الفتنة، "كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها"<sup>(20)</sup>.

ثم ختم - سبحانه - هذه الآية الجامعة لأنواع من الآداب السامية، بقوله - تعالى -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فوصى المؤمنين جميعاً بالتوبة وبتأمل الفلاح.

إن الغرض من الخطاب يتضمن تقرير المضمون الذي جاءت الآية لتقريره، وهو حفظ الأخلاق والعفاف، فجمع سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الغاية وهو حفظ الفروج والوسيلة لذلك وهو غض البصر، وستر الزينة، ونهى عن إبدائها ولو



## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

بالحركة التي تدل عليها، وفي هذه الآداب التي اشتملت عليها هذه الآية<sup>(21)</sup> صيانة لكرامة المرأة، وسدّ لذرائع الفساد في المجتمع ليكون المجتمع المسلم طاهراً، وسالماً من فشو الرذيلة فيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:33].

لقد قدم هذا الخطاب أصول تربية المرأة المسلمة، قدمه بشكل يقيني، فأوصد الباب أمام الزنا وشيوع الفاحشة، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بغض البصر وحفظ الفرج وسد منافذ الفتنة، وأخذ الطريق على الأسباب الدافعة إلى الزنا، توكيماً للوقوع فيه ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردّي والانحلال.

فتنطلق المرأة من خلال هذا الخطاب إلى العمل بوصايا ربها، وتتوب من كل ما يخالف ذلك لتفوز بالصلاح والفلاح قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وذلك لا يتحقق إلا بنبيا الحشمة وهو الساتر لجميع بدنها.

ومن المصائب التي حلت بالمجتمعات الإسلامية السفور والتبرج الذي هو مطلب للكفار والمنافقين وفساق المسلمين، ولأن ذلك مفتاح لما يريد الكفار بالمسلمين من الانحلال وفساد الأحوال وهو طريق الفاسقين لنيل شهواتهم المحرمة، قال تعالى في بيان مراد الكافرين والفاسقين: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:27]، والميل العظيم لا يتحقق إلا بشيوع الفاحشة، ودواعيها مما يفضي إلى استحلالها.

وقد سلك الكفار وتلاميذهم للوصول إلى غاياتهم طريق التدرج، فبدعوا بمحاربة الحجاب وشوهوا عباة الحشمة، والإغراءات بعباءات الفتنة من مخصرة وقصيرة، ولن يقف أولئك عند ذلك.

ثانياً : الخطاب التربوي للمرأة في سورة الأحزاب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعْنَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَإِن كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، وَمَن يَفْتَنُكَ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا، وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا، وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا، وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 28-36].

وقال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: 55].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً، حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت<sup>(22)</sup>، عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: "هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر - رضي الله عنه إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فقلن: والله! لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَاً جَمِيراً، وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾، قال فبدأ بعائشة فقال: "يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليك امرأة أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أوبيك" قالت: وما هو يا رسول الله؟! فتلا عليها الآية، قالت: أفيك، يا رسول الله! أستشير أوبي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت: قال: "لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً"<sup>(23)</sup>.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهب إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن جميعهن - رضي الله عنهن

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

وأرضاهن - الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة<sup>(24)</sup>.

لقد اختار النبي ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزاً عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها وعم فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد! ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، ولكن ذلك كان اختياراً للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله، رغبة الذي يملك ولكنه يعف ويستعلي.

فكان الخطاب في سورة الأحزاب نبراساً ومنهاجاً للمرأة المسلمة الغرض منه إذهاب الرجس عن المرأة، وطهارتها، ويتلخص هذا النبراس الحبير<sup>(25)</sup>، والسراج المنير فيما يلي:

- إعطاء المرأة درسا بأنها لن تبلغ منزلة الإحسان إلا بإرادة وجه الله، واتباع رسوله، وإيثار الدار الآخرة على دار الدنيا، والمرأة التي تريد الحياة الدنيا وزينتها لا فائدة في صحبتها.

فالمراة بحكم بشريتها قد تتطلع إلى حب الزينة والتمتع بنعم الحياة الدنيا وزينتها حتى وإن كانت زوجة المصطفى ﷺ ولكنها سرعان ما تعود إلى صوابها بعد خطاب الله لها، وتحذيره إياها.

الأمر الذي يدل على صفاء هذه النفس وحسن منبتها وكمالها، ولاسيما إذ زكّتها وأتمتها بالتقوى، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:

9-10].

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

- البعد عن الفاحشة لأنها منافية للإحسان؛ لأن الإحسان هو فعل الجميل وترك القبيح؛ ابتغاء وجه الله وثواب الآخرة، ونساء الرسول ﷺ يضاعف لهن العذاب ضعفين "أي ضعفي عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ" قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.
- القنوت - وهو الطاعة لله والرسول، وطاعة من أمرت بطاعته - وعمل الصالحات، وهذا من باب التحلي والذي قبله من باب التخلي، ونساء الرسول ﷺ يؤتيهن الله عزوجل أجرهن مرتين وأعد لهن رزقاً كريماً وهو الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وِتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.
- عدم الخضوع بالقول وهو أحد الواجبات السلوكية التي تحدث القرآن الكريم عنها وأمر المرأة باتباعها، فلا تكلم الأجانب كأنها خاضعة لهم منكسرة بكلام لطيف رقيق لين شبيه بكلام المربيات والمومسات، فحينئذ يطمع فيها الذي في قلبه مرض الشهوة فيلین لها القول بكلمات ناعمة تخدش حرمتها وحياءها. كما أمرها - تعالى - بمخاطبة الرجال بالقول الحسن الجاد، وفي المواضيع المتعارف عليها - بالخير بين الناس، ولا تتكرها الشريعة لبعدها عن محل الطمع، وذلك لأن موضوع الحديث قد يُطمع القلب المريض مثل لهجة الحديث. وإذا كان الخطاب موجهاً لنساء النبي ﷺ وهن مضرب المثل للنساء في العفة ورفعة القدر، والسمو فوق الشبهات، فمن باب أولى أن يوجه هذا النهي لسائر النساء وخصوصاً في العصر الحالي، حيث زادت فيه ميوعة أصوات بعض النساء، فالخضوع بالقول إنما يكون للزوج لا للأجنبي، والعجيب في أمرهن عكس ذلك؛ يخضعن للأجنبي ويخشن على الزوج.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

وفضلاً عن هذا فإن القول الخاضع يوهم الذين في قلوبهم مرض من الرجال، أن المرأة تفعل ذلك تقرباً وتودداً إليهم، فتتجرأ أنفسهم على مغازلتها، وربما تتطور الأمور بينهما، ويصبح هذا القول بداية إلى قول الفواحش أو فعلها.

ومما سبق يلاحظ أن صوت المرأة في حد ذاته لا حرمة فيه، ولكن الحرمة تكمن في طريقة كلام المرأة، أو في محتوى الكلام نفسه، كأن يكون كلاماً هازلاً، أو مثيراً، أو مريباً، أو في رفع صوت المرأة بالكلام، حتى وإن كان بقراءة قرآن<sup>(26)</sup>.

أما ما زعمه بعضهم من أن صوت المرأة عورة، وأن حديثها مع الرجل يثير الفتنة حتى وإن لم يكن في حديثها ما يشكك أو يريب؛ لأن خائنة القلوب تجعل الصوت رخيماً، واللهجة مشوقة، والحديث عذباً وإن لم يكن كذلك<sup>(27)</sup>، فلاشك أن هذا الزعم زعم باطل، فإله - تعالى - لم ينه المرأة عن التحدث إلى الرجال، ولكنه نهاها عن الخضوع بالقول، وإذا راعت المرأة الآداب الإسلامية في أثناء حديثها مع الرجال، فلا حرج عليها من التحدث أمامهم أو معهم كأن تعلمهم، أو تتعلم منهم وتفصح عن رأيها، أو تباشر معهم البيع والشراء، وسائر المعاملات الأخرى. هذا وقد أجمع الفقهاء الأربعة على أن "صوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة ولو بتلاوة القرآن<sup>(28)</sup>.

ويؤيد هذا الإجماع أن النساء على عهد الرسول ﷺ كن يتحدثن إلى النبي ﷺ ويسألنه في بعض أمورهن وأمور دينهن، كما بايع النبي ﷺ المؤمنات المهاجرات، حيث حفظت لنا كتب الصحاح أحاديث عديدة تفيد أن بعض النساء في عصر النبوة كن يروين الأحاديث، ويأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ويلقن التحية

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

الإسلامية على الرجال، إلى غير ذلك من الأمور الحسنة ، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنُنٌ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

- القرار في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة، فإذا احتاجت إلى الخروج فلا تتبرج بإظهار زينتها، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

يقول ابن كثير: "أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة"<sup>(29)</sup>، وجعل الإسلام صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وهذا لتقليل خروجها حتى لا يراها الرجال ويكون ذلك فتنة، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن"<sup>(30)</sup>.

وهذا لا يعني أن تظل المرأة حبيسة الدار، وأن لا تخرج أبداً، فلها أن تخرج للعلم وقضاء الحوائج أو تذهب لعملها، أو لزيارة أهلها وأقاربها وصديقاتها ممن تؤمن زيارتهن، أو لمراجعة الطبيب، أو لأداء الشهادة أمام القضاء، وما أكثر الصور التي يمكن أن تسردها الباحثة لخروج المرأة الخروج المشروع والذي له ما يبرره من الضرورات.

ولكن بقدر الحاجة والحجاب وبدون الاختلاط الذي يهدم حياتها أو يضيع حياءها بقدر الطاقة، فإذا ما اضطرت إلى محادثة الرجال والاختلاط بهم فليكن في غير خلوة، ولسبب ضروري، أو لقضاء مصلحة، ولا تنس أنها امرأة قد يطمع فيها ذوو النفوس الضعيفة، فلتحافظ على نفسها حتى لا تصل إلى درجة من الضياع تجعلها تندم في الدنيا والآخرة!!.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

- إقامة الصلاة التي فيها الإخلاص للمعبود وإيتاء الزكاة التي فيها الإحسان إلى العبيد، وهاتان العبادتان - بالخصوص - تدعوان إلى غيرهما من العبادات؛ فلأجل ذلك خصهما الله بالذكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾، أي: نص الله - تعالى - على تكليف النساء بالصلاة، والزكاة، مع أنهن مكلفات بجميع فروع الشريعة كالرجال؛ لأن هاتين العبادتين هما أصل الطاعات التي تطهر قلب المسلم وتزكيه، وتوثق صلته بالله، ومن أقامهما على خير وجه جرتاه إلى ما وراءهما من عبادات وطاعات لله ورسوله.

**فالصلاة:** صلة تربط المسلمين والمسلمات بالله وهي: ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، ومن يهمل في تأديتها يفقد عماد دينه، ومن يؤدها متكاسلاً يكن على صفة من النفاق، وذلك لقوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَأَوْنَ النَّاسَ﴾ [النساء:142]، وإلى جانب هذا فإن في إقامة الصلاة وتأدية الزكاة علاجاً لما في جبلة الإنسان من الهلع والخوف المانعين له من الدفاع عن الحق، ونصرة الله - تعالى - لذا كان المنافقون أجبن الناس وأبخلهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً، إِلَّا الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المعارج:19-26].

والزكاة كذلك: وسيلة من أعظم وسائل التراحم، والتكافل الاجتماعي؛ لذا أشاد الله - تعالى - بالمتصدقين والمتصدقات في غير آية، وأجزل لهم الثواب يوم القيامة.

وحتى لا يظن بعضهم أن التكاليف الشرعية منحصرة في إقامة الصلاة، وتأدية الزكاة أمر الله - تعالى - المؤمنات بطاعة الله ورسوله، أي: إتيان كل ما أمر به، والانتهاز عن كل ما نهى عنه للفوز برحمته.



## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

ولم يستثن المولى - تعالى - من هذه التكاليف حتى نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - بل شدد عليهن في هذه الأوامر والنواهي<sup>(31)</sup>، حتى لا يقارف أهل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - إثمًا، وأن يتصونوا عنه بالتقوى؛ وهذا لا يحدث إلا بالعبادة والطاعة.

فهذا هو سبيل الطهارة وإذهاب رجس الشيطان الذي لا همَّ له إلا إيقاع العبد في المعاصي ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَطِيعَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

- ثم ذكر - سبحانه وتعالى - أن السبيل الأعظم والطريق الأقوم إلى القيام بهذه الأمور هو العلم والتذكير بها، فقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

وهذه الآيات وإن كانت في نساء النبي ﷺ فالمقصود منها نساء الأمة أيضاً؛ لأنهن تبعَ لهن في ذلك، والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- ذكر الله تعالى المرأة إلى جانب الرجل في تعدد الصفات الشخصية للمسلمين والمسلمات رفعا لقيمتها ومكانتها بجانب الرجل في علاقتهما بالله تعالى، وكان ذلك بناء على رغبة بعض النساء اللاتي ظنن أنهن في خيبة وخسار؛ لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال<sup>(32)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِتِينَ وَالصَّانِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

فالآية الكريمة صريحة في أن النساء يتساوين مع الرجال في التكليف الشرعية التي كلف - سبحانه - بها الرجال، وإذا كانت شريعة الإسلام قد أسقطت عن النساء بعض التكليف الشرعية في حالات الحيض أو النفاس، فذلك من باب الرحمة بهن، والتخفيف عنهن، ومراعاة أحوالهن الجسمية والنفسية.

فهذه الآية قد اشتملت على عشر فضائل، جمع الله - تعالى - فيها بين الرجال والنساء، وأخبر أن الثواب العظيم كائن لمن يتحلى بها، سواء أكان من الذكور أم من الإناث، وهي: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والصدقة، والصوم، وحفظ الفرج، وذكر الله كثيراً.

وفي إطار عدم التفرقة بين النساء والرجال في التكليف الشرعية أمر الله - تعالى - أنبياءه بالاستغفار للمؤمنات كالمؤمنين اهتماماً بشأنهن، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:19].

ولاشك أن هذا الاستغفار من الرسول الكريم يطمئن المؤمنين والمؤمنات برضا الله - وفي ظل عدم التفرقة بينهما كذلك توعده المولى - تعالى - من يعذب المؤمنين والمؤمنات؛ ليفتنهم عن دينهم، ويصرفهم عن الإيمان بالعذاب الأليم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج:10].

- عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:36]، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: "فانكحيه"، فقلت: يا رسول الله أوأمر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾، إلى قوله

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

تعالى: ﴿ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، قالت: قد رضيت له لي يا رسول الله منكحاً؟ قال: نعم، قالت: إذن لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي<sup>(33)</sup>.

فلا يصح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً من الأمور أن يختار من أمره ما شاء، بل من حقه أن يجعل رأيه تبعاً لرأيهما واختياره تلوّاً لاختيارهما.

- ذكر سبحانه وتعالى أيضاً مخاطبة المرأة من وراء حجاب فإنه سبيل الطهارة، فكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر؛ كان بذلك أسلم له وأظهر لقلبه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53]، واستثنى الله تعالى المحارم من ذلك، فلا مانع أن تظهر عليهم بزینتها، قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: 55].

فلا جناح على المرأة في الظهور على المحارم وعدم الاحتجاب عنهم، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأبناؤهم، وأبناء الأخت، وملك اليمين والنساء، ولم يذكر - سبحانه وتعالى - العم والخال في هذه الآية لأنهن إذا لم يحتجبن عن أبناء الإخوة وأبناء الأخوات، أي: وهن عمات أو خالات لهم - مع رفعتن عليهم؛ فعدم احتجابهن عن أعمامهن وأخوالهن من باب أولى.

- وذكر سبحانه وتعالى الحجاب الشرعي، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

فالحجاب حصنٌ أساسيٌّ من الحصون التي تحافظ على العفة والستر والاحتشام، ويمنع إشاعة الفاحشة، كما أنه مظهر من مظاهر الاعتزاز بالشعائر الشرعية،

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

المحققة لعفاف الرجل والمرأة والمجتمع، وهو ليس نافلة، فضلاً عن أن يكون مجرد رمز يسهل المسلمة التحلي به أو تركه، بل هو فريضة من الله على النساء؛ صوتاً لهن؛ وإعلاناً لعفافهن، كقدواتهن من أمهات المؤمنين، فلا يطمع فيهن أهل الأهواء والشهوات، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال - صلى الله عليه وسلم -: "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات<sup>(34)</sup>، مميلات مائلات<sup>(35)</sup>، رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة<sup>(36)</sup>، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"<sup>(37)</sup>.

بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن تبرج المرأة وخروجها عارية سافرة سبب في دخولها النار.

وعن عائشة - رضي الله عنها - : " أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال: " يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه<sup>(38)</sup> ".  
فعند إدراك أهمية الحجاب والقيمة المرتبطة به، يزول العجب من شراسة الحرب ضده، فالغرب - مثلاً - أصبح يضيق بالحجاب ذرعاً، ما لم يضيق بأي لباس آخر لأي طائفة دينية، والشواهد على مضايقة المحجبات قانونياً وعملياً واضحة لكل متابع، سواء أكان ذلك في العالم الغربي - الذي يزعم أن من أسسه حماية الحقوق الشخصية، أو في بعض دول العالم الإسلامي العربي المتبني للعلمانية.

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

لقد دارت رحى الحرب على الحجاب مكشوفة صريحة، من قبل أعداء هذا الدين، ومن قبل متبعي الشهوات من المسلمين والمتاجرين بها، وربما استترت أحياناً، فأعلنت قبول الحجاب ولكن مع مسخ حقيقته، وتحويله إلى مجرد تقليد، وتراث يمكن أن يدخله التطوير والاختزال، بما يلغي مقصده وغايته<sup>(39)</sup>.

وفي نهاية حديثي عن الخطاب التربوي للمرأة في سورة الأحزاب أجد أن تربية المرأة من خلال هذا الخطاب جاءت متوازنة، فلا تركز على جانب واحد من جوانب التربية بل استملت على معظم الجوانب الإنسانية بغرض الوصول إلى نتيجة واحدة، أن تلتزم المرأة هذا المنهج الرباني في كل سلوكها، لأن تكريم الإسلام للمرأة كما جاء في القرآن الكريم يمثل منظومة متكاملة من الحقوق الشاملة، ليست من اجتهاد البشر أو موروثاً ثقافياً جاهلياً ممتداً في التاريخ.

### ثالثاً - الخطاب التربوي للمرأة في سورة المجادلة:

لقد عرض القرآن الكريم صورة من صور الخطاب بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وامرأة تسمى خولة بنت ثعلبة التي جاءت لتجادل رسول الله عن أمر زوجها، بعد أن ظاهر منها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ، وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة 1-4].

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

هنيئاً لهذه السيدة الفاضلة هذا المقام الكريم، لقد سمعها ربها واستجاب لها وكرمت بالقرآن الكريم صوتها صوت الحق عندما تردد في أرجاء السماء فسمعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، إنها سيدة جليلة فاضلة من نساء الأنصار (خولة بنت ثعلبة بن أحرم الخزرجية)، تزوجها أوس بن الصامت، وانتظمت حياة الأسرة في حياة سعيدة هادئة، وعندما دعى الداعي إلى الإسلام كانت خولة من أوائل المبايعات المسلمات - بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام وأركانها، وكذلك فعل زوجها أوس بن الصامت، كانت دارهم في المدينة إحدى الدور التي هللت لمقدم محمد ﷺ، تضايق أوس بن الصامت من زوجته خولة بنت ثعلبة ذات يوم إذ غاضبته فغاضبها وحرمها على نفسه كما حرمت عليه أمه قائلاً: "أنت علي كظهر أمي".

كان الظهار في الجاهلية أمراً شائعاً، من الأمور التي ابتدعتها أهل الجاهلية ودرجوا عليها وألفوها حتى صارت عندهم شرعاً، فكان الرجل منهم إذا كره زوجته أو غضب عليها قال لها أنت علي كظهر أمي، فتصير محرمة عليه. وكان ظهار أوس أول ظهار في الإسلام، فأفاق من حدته وسكن عنه غضبه لكن ليحل مكانه في نفسه الألم والندم، إذ صارت زوجته امرأة غريبة عنه ولا تحل له، وإنه لحيائه مما فعل لم يستطع أن يحدث رسول الله ﷺ.

أما زوجته خولة، فإنها لشعورها بهول ما حدث لجأت إلى رسول الله ﷺ، وقالت له: يا رسول الله... أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي، وقد تزوجني وأنا أحب الناس إليه، شابة مرغوبة ذات مال وأهل، دخل علي يوماً فرأجعتني بشيء فغضب وقال: أنت علي كظهر أمي، بعد أن أكل مالي وأفني شبابي، وتفرق أهلي وكبرت سني ونثرت منه بطني صبيحة صغاراً، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، فهل تجد لي يا رسول الله رخصة تتعشني وإيها؟.

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

ولكن رسول الله يقول: " مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ"، وتجادل المرأة الملتاعة رسول الله ﷺ: لا تَقُلْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، والذي أُنْزِلَ عَلَيْكَ مَا ذَكَرَ طَلَقًا. لكن الرسول ﷺ يقول مرة ثانية: " مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ"، ثم يستطرد قائلاً: " وَإِنْ أُمِرْتُ بِشَيْءٍ لَا أُغَمِّمُهُ عَلَيْكَ".

فرفعت بصرها إلى السماء وبسطت يديها وراحت تتاجي ربها باكية، فسمع الله تعالى صوتها من فوق سبع سموات، وإذا بوجه رسول الله ﷺ يتردد من الوحي، ويقول: "أَبْشِرِي يَا خَوْلَةَ"، فقالت: خَيْرًا... وتلى عليها رسول الله ﷺ ما تنزل من السماء؛ إنها الكفارة بأنواعها الثلاثة: الأولى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: 3]، وتقول خوله: والله ما يجد غير رقبتي... والثانية: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: 4]، قالت: والله لولا أنه يأكل، ويشرب في اليوم ثلاثاً لذهب بصره... والثالثة: ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: 4]، فسألت: من أين؟ فأرسل رسول الله ﷺ إلى أوس وسأله: "أَتَسْطِيعُ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ؟".

قال أوس: والله إني إذا أخطأني الأكل كل يوم مراراً كل بصري.  
قال - صلى الله عليه وسلم -: ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾.  
فقال أوس: إلا أن تعينني.

فأعانه رسول الله ﷺ على إطعام الستين مسكيناً... وخرج الزوجان بعد أن فرج الله تعالى كربتهما<sup>(40)</sup>، ومرت العاصفة بسلام، ويكون ما قاله أوس - رضي الله عنه - سبيلاً إلى تقرير حكم هام وهو حكم الظهار.

هذا الخطاب الذي يعرضه القرآن الكريم يدل على اهتمام الإسلام بشخصية المرأة، مع اعترافه الكامل بحقها في مناقشة قضاياها ولو كان من تخاطبه رسولها، فعرضت خولة قضيتها ولم يكن عند رسول الله ﷺ تشريع يتعلق بهذه القضية، وكان من عادة العرب المتبعة أن يعتبر الظهار طلاقاً فأخبرها الرسول ﷺ بذلك،

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

فنزل التشريع ليحطم العادات السابقة، ويضع تشريعاً جديداً بخطاب هذه المرأة مع رسول الله ﷺ.

لقد أراد الله عز وجل أن يضع من خلال هذا الخطاب قاعدة عامة، تتمثل في أن الغرض من الخطاب أن يصل الإنسان إلى الحق ويقصد منه إلى التمييز بين الحق والباطل، فالغرض هو الإقناع والإرشاد، بصورة يتمثل فيها الرفق والهدوء، بحيث لا تتقلب إلى عدااء بين الطرفين، فقد كانت حرية الخطاب قائمة بين الطرفين.

فمن حق المرأة أن تسأل، ورسول الله ﷺ يجيب عن هذا الأمر، فأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله بأنه يسمع الخطاب، لأنه سميع مجيب، فهذا تكريم للمرأة لم تنله بتشريعات البشر، فرسول الله ﷺ يخاطب والله يسمع الخطاب ويشرع لها، ويهتم بقضية من قضاياها، أفبعد هذا تبتغي المرأة المسلمة خروجاً عن منهج الله الذي اعترف بها مخاطبة مع رسوله دون مصادرة لرأيها؟.

الخطاب بين الرسول ﷺ وهذه المرأة كان خطاباً جاداً يتمشى مع منهج الخطاب الذي لا يصادر أحد الطرفين طلب المعرفة من الآخر، بحيث تكون نهاية الخطاب الخضوع لمنهج الحق الذي يجب أن يسلم به كل طرف من المتخاطبين، فإذا رفض أحد الطرفين قضية الخطاب فعلى الطرف الآخر أن يأتي له بالحجج التي تزيل هذا الرفض، بأسلوب يبعد عن التعصب.

لقد أراد الله لخلق أسلوب الخطاب، ليشعرهم بمكانتهم عنده، فيدعوهم إلى اعتناق الحق واجتناب الباطل، فيربي فيهم جانباً من جوانب التربية، فيؤدي ذلك إلى تعديل سلوكهم، لذا لم يكن حديث القرآن الكريم عن الخطاب حديثاً عرضياً، بل اهتم به اهتماماً كبيراً، من حيث المنهج والقواعد التي ينبغي أن يسير عليها<sup>(41)</sup>.



## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

وأعطى الرسول ﷺ درساً تربوياً في خطابه مع خولة بنت ثعلبة مضمونه أن الداعي إلى الله لا يستطيع أن يحدث الأثر المنشود في المجال الفكري والوجداني والأخلاقي والحضاري إلا إذا كان الدعاة والممارسون للعمل التربوي والقائمون على نشر الفكر الإسلامي عالمين بأسلوب القول وأساس التبليغ وأصول الخطاب، بحيث يملكون القدرة العلمية والمنهجية التي تتيح لهم فهم الآخرين وتقديم البراهين التي تقنع غير المقتنع، فتدفع المعارض إلى تغيير موقفه وتصحيح فهمه.

الخطاب يشمل في موضوعه كل القضايا التي تتعلق بالإنسان بما فيها من الظواهر الكونية، فيطرحها للبحث و الخطاب، ويطرح التشريعات التي جاءت في أحداث القصة، فيعلق على العادات السابقة وينشئ من خلال الخطاب تصورات جديدة طبقاً للتشريع الإسلامي، وليس هناك من القضايا ما يحظر فيها الخطاب، طالما يستطيع العقل البشري أن يدرك أسرارها<sup>(42)</sup>.

ولا يمكن أن يصل إلى هدفه إلا إذا امتلك أطراف الخطاب حريتهم للوصول إلى هدفه، فهو مظهر من مظاهر الرقي في الخطاب، فيديرون الخطاب تحت مظلة الثوابت المعروفة للجميع، فيتم الاتفاق قبل البدء على مرجعيات مسلم بها عند الاختلاف، فتناقش الآراء علناً، فتصحح المواقف، وتزال الشبه<sup>(43)</sup>.

لقد كان الخطاب مع رسول الله ﷺ والمرأة المخاطبة يعتبر وسيلة من وسائل التفاهم في المجتمع الإسلامي، فمن خلاله تطرح القضايا المهمة التي يجب أن يلتزم بها المخاطب، فيشتمل على الأسلوب التطبيقي للخطاب، ويوجه عقول المخاطبين إلى جانب الصواب في موضوع الخطاب، أو يحذر من سلوك منحرف من أجل أن يتركه المخاطب.

وأسلوب الخطاب يهدف إلى توصيل الدعوة الإسلامية إلى الناس مع تناسبها مع العصر الذي يعيشونه، حيث يلزم كل مسلم بأن يعيش عصره بما هو مطلوب

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

ومناسب له، وأن يتخذ من أسلوب الخطاب ما ينطبق مع القواعد الشرعية، فهو يستظل تحت ظلها بما يؤدي إلى إقناع الناس بأساليب التربية الإسلامية من أجل تحقيق إقامة المجتمع المسلم، ومن أجل الوصول إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة، والتعرف على الرأي والرأي الآخر ومناقشة الحجة بالحجة.

رابعاً : الخطاب التربوي للمرأة في سورة التحريم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، إِنْ تَوَبَّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ، عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: 1-5].

هذه الآيات الكريمة التي استهلكت بها سورة التحريم نزلت تعقيباً على ما حدث في بيت النبوة، حيث حرم رسول الله ﷺ على نفسه شيئاً أحله الله له وأسراً بذلك إلى إحدى زوجاته وهي حفصة فنبأت به عائشة فنزل القرآن الكريم بآيات بينات فيها عتاب لرسول الله ﷺ وتوجيه لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - .

كانت حفصة - رضي الله عنها - تُكثِرُ مداعباتها حين تلتقي بعائشة - رضي الله عنها - إذ اتفقتا ذات يوم على الادعاء بأن رسول الله ﷺ تنبعت منه رائحة غير زكية إذا خرج من عند أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فأيهما اتجه إليها رسول الله ﷺ تقول له ذلك، والذي حدث أنه اتجه إلى بيت حفصة

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

فادّعت ذلك، فأخبرها أنه شرب عسلاً عند زينب وما دام قد سبب رائحة كريهة فلن يشربه، وطلب منها أيضاً ألا تخبر غيرها من زوجاته ﷺ، لكنها فعلت (44).

وذات يوم خرجت حفصة - رضي الله عنها - تزور أباه، وحين رجعت وجدت الرسول ﷺ ومعه جاريتته مارية في حجرتها، وأراد ﷺ أن يرضيها، فقال: إنه سيُحَرِّم مارية على نفسه منذ اليوم، وطلب منها ألا تخبر غيرها من نسائه، ولكن حفصة أخبرت عائشة، وشاع الخبر بين بقية الزوجات حتى إن عائشة طالبت ألا تبقى مارية في مدينة الرسول.

وغضب رسول الله ﷺ مما حدث، وحلف ألا يقرب نساءه شهراً، وقال بعض الناس إن الرسول ﷺ طلق زوجاته، ولكن عمر بن الخطاب خرج للمسلمين ليعلن أن النبي لم يطلق نساءه بعد إخبار الرسول ﷺ له بذلك ولكن هجرهن شهراً أدياً لهن (45).

وروى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن آتينا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني لأجد منك ريح مغافير (46)، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال " لا بأس شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم:1] إلى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم:4]، لعائشة وحفصة: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ [التحریم:3]، لقوله: بل شربت عسلاً (47).

وأخرج النسائي في السنن والحاكم في المستدرک بسنديهما عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كانت له أمة (48) يطؤها، فلم تزل به عائشة

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً فأُنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ (49).

يقول الإمام الشوكاني - رحمه الله - بعد أن أورد قصة تحريم العسل وقصة تحريم السيدة مارية القبطية: "فهذان السببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القضيتين قصة العسل وقصة مارية وأن القرآن نزل فيهما جميعاً وفي كل واحد منهما أنه أُسْرَ إلى بعض أزواجه..." (50).

ويقول الإمام ابن حجر - رحمه الله - بعد أن أورد الروايات التي وردت في تحريم مارية: "وهذه طرق يقوي بضعها بعضاً فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السبيين معاً" (51).

وقال الإمام الطبري بعد أن ذكر الروايات الواردة في تحريم العسل، وفي تحريم مارية "والصواب أن يقال كان الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك جاريتته، وجائز أن يكون ذلك شراباً من الأشرية، وجائز أن يكون غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً وعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبَيَّنَّ له تحلة يمينه" (52).

ويرى الصابوني أن سبب نزول هذه الآيات في قصة تحريم الرسول ﷺ أم إبراهيم "مارية القبطية" عدة أمور وهي:

1- تحريم بعض النساء مما يبتغي به مرضاة بعض الأزواج، لا شرب العسل أو عدمه.

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

2- الاهتمام بنزول سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج رسول الله ﷺ بالطلاق واستبدال نساء خير منهن بهن، وأن الله وملائكته والمؤمنين سند وعون لرسول الله ﷺ يدل على وجود تنافس بينهن وغيره، وذلك إنما يكون في تحريم بعض النساء عليه لا في شرب العسل ونحوه.

3- هذه الحادثة من إفشاء السر، كادت تؤدي إلى طلاق زوجات الرسول ﷺ حتى اعتزلهن شهراً، نظراً لدقة الموضوع وشدة حساسيته مما أغضب الرسول ﷺ حتى حلف عليهن، وذلك إنما يكون في أمر مهم، مثل تحريمه لبعض النساء، وحلفه ألا يقرب "مارية القبطية" إرضاء لأزواجه واستكتم البعض منهن في هذا الأمر، فأفشت السر فهذا ما يرجح الرواية الواردة في تحريم مارية<sup>(53)</sup>.

وترى الباحثة أن الراجح في سبب نزول هذه الآيات هو ما ورد عن تحريم مارية - رضي الله عنها - وذلك لموافقة هذه القصة لسياق الآيات الكريمة، وأما قضية تحريم العسل، وقول بعض السلف نزلت فيه فالمراد منه أن الآيات تشمل قضية بعمومها على ما عُرف من عادة السلف في قولهم نزلت في كذا، يقول الإمام الرزكشي "وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب لاسيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها"<sup>(54)</sup>.

تبدأ الآية الأولى من سورة التحريم بتوجيه العتاب إلى النبي ﷺ على تحريمه شرب العسل أو مارية، فما كان له ﷺ أن يفعل ذلك ابتغاء مرضات أزواجه فهن أحق بالسعي والجد في ابتغاء رضاه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

ثم تتحدث الآية الثانية من سورة التحريم عن مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه ومغفرته وهو تشريع كفارة اليمين، وفي ذلك ما فيه من التخفيف والتيسير بالأمة الإسلامية، والله سبحانه هو العليم بما يصلح العباد في عاجلهم وآجلهم، وهو الحكيم فيما يشرع لهم: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

ثم تتحدث الآية الثالثة: عن ذلك الأمر الذي حدث في بيت النبوة وذلك أن رسول الله ﷺ حين حرم على نفسه ما حرم أسراً بذلك إلى حفصة فنقلت - رضي الله عنها - هذا الخبر إلى عائشة - رضي الله عنها - فأطلع الله رسوله الكريم على ما حدث من حفصة فعاتبها عتاباً لطيفاً وأخبرها ببعض ما نقلته عائشة - رضي الله عنها - ولم يخبرها بالكل، وذلك من طبيعة الكرام ألا يستقصوا، فتعجبت حفصة كيف علم الرسول ﷺ بصنيعها هل أخبرته عائشة؟ أم جاء الخبر عن طريق الوحي؟.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3].

ثم يتوجه الخطاب في الآية الرابعة: إلى حفصة وعائشة بدعوة إلى التوبة إلى الله تعالى؛ فقد مالت قلوبهما إلى خلاف ما يحب ﷺ بسبب الغيرة المفرطة، ويحذرهما المولى عزوجل من التظاهر على رسول الله ﷺ أي الاجتماع والاتفاق على خلاف ما يحبه: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فالمولى عزوجل ناصره ومؤيده، وجبريل - عليه السلام - والمؤمنون الصالحون والملائكة الكرام كلهم في نصره رسول الله ﷺ وفي صفه.

وتحمل الآية الخامسة تهديداً شديداً إلى أمهات المؤمنين جميعهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: 5]، وهي الصفات التي يدعوهن إليها عن طريق

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

الإيحاء والتلميح، الإسلام الذي تدل عليه الطاعة والقيام بأوامر الدين، والإيمان الذي يعمر القلب، وعنه ينبثق الإسلام حين يصح ويكتمل والقنوت وهو الطاعة القلبية، والتوبة هي الندم على ما وقع من معصية والاتجاه إلى الطاعة والعبادة وهي أداة الاتصال بالله والتعبير عن العبودية له. والسياسة وهي التأمل والتدبر والتفكير في إبداع الله والسياسة بالقلب في ملكوته وهن - مع هذه الصفات - من الثيبات ومن الأبرار، كما أن نساء الحاضرات كان فيهن الثيب وفيهن البكر، وهو تهديد لهن لابد كان له ما يقتضيه من تأثير مكابدهن في قلب رسول الله ﷺ وما كان ليغضب من قليل! وقد رضيت نفس النبي ﷺ بعد نزول هذه الآيات، وخطاب ربه له ولأهل بيته، واطمأن هذا البيت الكريم بعد هذه الزلزلة، وعاد إليه هدوؤه بتوجيه الله سبحانه، وهو تكريم لهذا البيت ورعاية تتناسب دوره في إنشاء منهج الله في الأرض وتثبيت أركانه<sup>(55)</sup>.

صور الخطاب في الآيات الكريمة صفحة من الحياة البيئية لرسول البشرية ﷺ وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نساءه وبعض، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته ﷺ حيث حرم الرسول ﷺ على نفسه ما حرم ابتغاء مرضاة زوجاته وأسر بذلك إلى حفصة - رضي الله عنها - فأخبرت عائشة، وكان بالإمكان أن يمر هذا الموقف الذي حدث في بيت النبوة مروراً عابراً ولكن الله أنزل فيه قرآناً يتلى؛ وذلك لتقويم الموقف وبيان عظم منزلته ﷺ ورفع مكانته وتوجيه العتاب له، كيف يحرم على نفسه ما أباح الله له، وكيف يفعل ذلك ابتغاء مرضات أزواجه وكان عليهن أن ينشغلن ويجتهدن في ابتغاء مرضاته ﷺ، وإذا كان الله تعالى يعاتب رسوله الكريم بسبب أنه حرم على نفسه ما أحل الله له ابتغاء مرضات أزواجه، فما بالك بأولئك الذين يسعون إلى إرضاء زوجاتهم بارتكاب المحرمات وفعل المنكرات، فمنهم من يعق والديه ويقطع

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

أرحامه ليرضي زوجته، ومنهم من يمد يديه إلى الحرام ليلبي مطالب الزوجة التي لا تتقطع، فأين هذا من أخلاق الزوجات الصالحات اللاتي قال عنهن المولى عزوجل: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾، وقال في سورة النساء: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [34].

فهذا الخطاب درسٌ تربويٌّ لكل امرأة مسلمة لتكون صالحة خاشعة خاضعة لله رب العالمين تطيع زوجها وتأخذ بيده إلى مرضاة الله لا تنزع له سراً ولا تفتشي له أمراً، فهي ستر لزوجها وزوجها ستر لها، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، فهي حافظة له في حضوره وغيابه، فلا تكلفه ما لا يطيق ولا تعيره بفقره إن كان فقيراً، بل ترضى بما قسم الله، وتقر عينها بما قضى الله، وتوصي زوجها بنقوى الله، وتتصح به بتحري الكسب الحلال الطيب، متمثلة في ذلك مقولة نساء السلف الصالح لأزواجهن إذا خرج أحدهم إلى عمله: اتق الله فينا ولا تطعمنا حراماً فإننا نصبر على الجوع ولكننا لا نصبر على نار جهنم.

إن الأهداف التربوية للخطاب تقصد إلى تربية المرأة المسلمة التي تقوم ببناء عقلية واعية مستتيرة، مؤمنة بالله، مخلصه في عملها، فتدرك رسالتها الإنسانية التي خلقت من أجلها، فتتمسك بالحق وتستهدف بناء المثل الأعلى الإنساني في سلوكها الفردي والجماعي، فتتملك بذلك أسباب القوة والعمل الإيجابي فتتسلح بالعلم لتستطيع تنمية القدرات العقلية التي يتطلبها الفرد ويحتاج إليها المجتمع في مواجهة تحديات العصر وتلبية المطالب من القدرات البشرية.

والإسلام ربي المرأة في كل جوانب حياتها بما يجعلها تتسم بالوعي الموضوعي لحقيقة مشكلات الأمة الاجتماعية، مع النظر إلى القضايا الكلية التي تحتاج إلى تطبيق عملي في حياتها، والبعد عن النظرة السطحية للأمر، بما يجعلها صاحبة عمق عقلي ينظر في الأشياء بنظرة إسلامية، تحدد من خلالها معالم الأشياء والحلول الممكنة لكافة المشكلات، وبذلك تصبح المرأة عاملاً فعالاً في المجتمع في كل قضاياها.



## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

وفي هذه السورة أيضاً ذكر - سبحانه وتعالى - مثلين: مثلاً للذين كفروا: امرأة نوح، وامرأة لوط، ومثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، والغرض منهما بيان أن مجرد اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيد شيئاً، وأن مجرد اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب عليه، فكأن في ذلك إشارة وتحذيراً لزوجات النبي ﷺ عن المعصية، وأن اتصالهن به ﷺ لا ينفعهن شيئاً مع الإساءة، وكذلك بقية النساء.

فقطعت الآية طمع من ركب المعصية وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي، ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال؛ فلا اتصال فوق اتصال البنوة، والأبوة والزوجية، ومع ذلك فلم يغن نوح عن ابنه، ولا إبراهيم عن أبيه، ولا نوح ولا لوط عن امرأتهما من الله شيئاً كما قال تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: 3]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾ [الانفطار: 19].

وقد لفت نظري أن في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ﴾ [التحريم: 10]، درساً عظيماً للنساء فأردت تناولها بشيء من التفصيل على الرغم من عدم وجود خطاب بها ولكنها تعرض نموذجاً للمرأة الكافرة التي وجدت نفسي لا بد من دراستها وتحليلها.

الكفر يمثل التحدي الكبير لحركة الرسالات في المجتمع، باعتباره العقبة التي تقف حاجزاً بين الرسالات وبين الامتداد التشريعي في حياة الناس؛ لأن العقيدة التي ينطلق من خلالها المنهج السماوي، فيقضي على كل فكر للشرك، وكل سلوك عملي ينطلق منه.

لقد تحدث القرآن الكريم عن الشخصية الكافرة فحدد بعض سماتها، بأنها تحسد وتحقد وتخدع وتمكر وتسخر، وبذلك تحدد شخصيتها، ويتوقع تصرفها، فالعداء قائم في كل تصرف لها نحو المؤمنين؛ لأنها تسمع كلام الله وآياته ولكن بكفرها وإعراضها عن الحق عطلت حواسها من أعظم وظائفها، وهي الاهتداء إلى الإيمان

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

بالله واتباع الحق، فصلتها بالله مقطوعة، لأن الكفر والضلال عازل يعزل صاحبه عن الهداية والرشاد.

إن الصورة التي يرسمها القرآن الكريم لشخصية المرأة الكافرة، أنها لا تؤمن بالله ولا بعقيدة التوحيد، فقد ضرب الله امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً للشخصية الكافرة.

لقد تجمد تفكير الشخصية الكافرة المضروبة للمثل وعجزت عن إدراك حقيقة التوحيد التي يدعو إليها الإسلام، فهي شخصية تعد مصدر فساد في الأرض، وما يتبع هذا الفساد من شر في حياة الناس، فيمثل أرضية تفسد كل شيء، لتبقي اعتقادها الباطل، فتفسد أخلاق الناس وأفكارهم وما يتبع ذلك من فساد مصالحهم، فهي شخصية مفسدة لذاتها ولغيرها.

إن مسيرة البشرية تكشف عن نماذج الشخصية الكافرة التي كانت أقرب الناس من دعوة الحق، ومنها امرأة نوح وامرأة لوط، فهما تمثلان نموذجاً للشخصية الكافرة، التي كانت دعوة الحق قريبة منها، فكل واحدة منهما امرأة نبي، فدعوة الأهل إلى الإيمان بالله التي قام بها نوح ولوط كانت من أصعب وأخطر ما يواجه الداعي، لأن تكذيب الزوجة لرسالة زوجها تفتح مجالاً للاعتراض على رسالته، لذلك كانت من الصعوبات التي واجهت الرسل في تاريخ البشرية، اعتراض الأهل والعشيرة على دعوة الإيمان<sup>(56)</sup>.

لقد جاءت دعوة الإيمان إلى امرأة نوح ولوط وقد رأت كل واحدة أدلة الإيمان في الواقع مع زوجها من خلال المعجزات التي أيد الله بها كل نبي منهما، ولمسوها وعرضوها حيث لم تبق حجة للبقاء على الكفر، ولكن طبيعة الشخصية الكافرة تجدد الحق وتظهر المرض، وتأبى الحق لأنها عقلية ضالة تأبى التصديق والاستقامة حتى يأخذها العذاب وفي هذه اللحظة لا ينفع الإيمان.

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

تكشف هذه الحالة السابقة في التمسك بالكفر في تاريخ الأمم الخالية، وتكشف عن حالات من الحالات النفسية التي عاشتها كل شخصية منهما، وما زال يعيش هذه الحالات كثير من النساء في الوقت المعاصر فقبل دعوات الكفر والتمسك بالعادات والتقاليد التي يبنها أعداء الإسلام في شخصية المرأة المسلمة بقصد إفسادها وإخراجها عن التمسك بالإيمان.

وتتمثل شخصية المرأة الكافرة في زوجة أبي لهب التي أنزل الله تعالى في شأنها قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 1-5].

يعرض القرآن الكريم نموذجاً للمرأة الكافرة التي جمعت بين الحقد والحرص والأنانية، وكانت امرأة عوراء تركت تلك العاهة في نفسها حقداً على البشر أجمعين، فهي لا تكف عن السعي بين الناس بالنميمة والوقعة، فتجد سعادتها الغامرة حيث ينشب الشر بين الناس، لأنها ألغت تميزها الذي ميزها الله به عن البهائم، المتمثل في القدرة على الإدراك والتعقل والوعي والتدبر، الذي يقود صاحبه إلى الإيمان بالله والاهتداء إلى الطريق القويم<sup>(57)</sup>.

إن تجرد الفكر عند الشخصية الكافرة جعلها لا تؤمن باليوم الآخر، فهي لا تدرك أن الآخرة ضرورة من ضرورات النظام الكوني، يتم فيها تحقيق القسط والعدل فهي تنظر نظرة قاصرة تتوقف عند الحياة الدنيا، بما فيها من نقص وهبوط، فلا تدرك الشخصية الكافرة أن الدنيا لا تصلح أن تكون نهاية البشر، فهي تقف عند حدود الدنيا، فلا تتطلع إلى الكمال الإنساني في الآخرة لكل من آمن.

فهي لم تحقق الهدف الذي خلقت من أجله، فاستحقت الهلاك والتحقير، لأن أفكارها تتسم بعدم الترابط في المعايير التي تكون وسيلة للحكم على الأشياء، فلا تستطيع أن توفق بين معايير الحكم في سلوكها، وبذلك يختلف السلوك ويتناقض؛

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

لأنها شخصية ليس لها مرجع صحيح يحكم السلوك أو يقومه، وبذلك يحدث الصراع النفسي في الشخصية الكافرة<sup>(58)</sup>.

لقد كانت سنة الله ثابتة في هلاك الشخصية الكافرة في الوقت الذي قدره الله لها، سواء في الدنيا أو الآخرة، فهذا الهلاك مرتب على سلوكها، وأعمالها، ومن خلال هذا الهلاك لا يغير الشخصية الكافرة أن تبقى في الكون فترة من الزمن تؤذي المؤمنين، وتسعى في الأرض فساداً لأنها ليس لها ضوابط تحكم هذه الشخصية في كل أفعالها، فهي تنقاد بحسب ما يريد لها الشيطان ويخطط لها.

هذه الشخصية هي مصدر الشرور والمفاسد ومنبع الرذائل والنقائص، وهي المدمر لشخصية الإنسان، لأنها تقضي على كل خصائصه كخليفة لله في الأرض، ورسم القرآن الكريم صورتها السيئة التي تدعو إلى التحقير، حيث يصفها بأنها تأكل كما تأكل البهائم، لأنها ليست لها رسالة نبيلة ولا هدف يحقق لها إنسانيتها<sup>(59)</sup>.

السخرية التي يوجهها القرآن الكريم إلى المرأة الكافرة في امرأة أبي لهب، تمثل نوعاً من التحقير والاستخفاف، وهذا التحقير يستمر في الدنيا والآخرة، فيحفظ القرآن الكريم لها جانب السخرية لتتوارثها الأجيال ذكراً حتى يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها، وبهذا تتحطم القوة المعنوية لهذه الشخصية لأنها صارت في موقع الكفر مثلاً للأجيال، فهي صورة مزرية متنوعة التحقير تنصب على كل شخصية تسلك مسلك الكفر، فينصب الاستهزاء على عقولهم وأفكارهم، فهم ليسوا على مستوى الحوار باعتبارهم أعداء؛ لأن الله سبحانه وتعالى حاور عن طريق الرسل أعداءهم ولكن هؤلاء الذي سخر الله تعالى منهم لم يجعل لهم مكاناً في الحوار ولو كان باعتبارهم أعداء.

وخلاصة القول: أن الشخصية الكافرة شخصية تتمسك بالباطل على الرغم من معرفتها للحق، مع بيان أدلته الواضحة، ولكن الكفر يعمي عن رؤية الحق، فقد

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

عرض التاريخ كثيراً من الشخصيات التي أعماها الباطل عن الحق، فأغفلت حقيقة التوحيد وتمسكت بالتقاليد التي ورثتها عن الآباء فكانت العاقبة خسرانها في الدنيا والآخرة.

فلا يليق بالمرأة المسلمة أن تقلد هذه الشخصية وأن تؤثر فيها، لأن جاهلية هذا القرن جاءت في صور متعددة، فوأدت المرأة وأدأً معنويًا، أشد خطراً من وأد الجاهلية، فإن الموعودة في الجنة، أما موعودة هذا القرن فهي التي وأدت نفسها، وباعت عفتها، وأهدرت حياءها، لا تدخل الجنة ولا تجد ريحها لأنها أصغت بأذنها إلى الدعاة على أبواب جهنم، فقفوها فيها، فشقيت وخسرت دنياها وأخراها. جاءت هذه الجاهلية في صورة المشفق عن طريق مجلة، أو عن طريق صفحة جريدة، أو أغنية أو تمثيلية، أو جهاز استقبال، يريدون أن تكون المرأة المسلمة بهيمة في مَسْلاخ بشر.

فتحصين المرأة المسلمة ضد الغزو الفكري أمر واجب، لأن الإسلام مستهدف من أعدائه، وأن كل الأعداء يتآمرون للتمكن من بلاد الإسلام والسيطرة عليها فكرياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، ولقد ركز الأعداء في خططهم كثيراً على المرأة لما لها من تأثير في المجتمع لتكون كل امرأة معولاً يهدم أسرتها فيضيع المجتمع بتفكك أسرته، ومن هنا فوجود المرأة المسلمة التقية من الأهمية بمكان لتقوم بدورها في المجتمع، وتلفت أنظار النساء لما يراد بهن من المكائد ليكن على حذر حتى لا يتأثرن بها، وحتى يؤهلن أولادهن للنهوض بالمجتمع، وصد تلك الهجمات الشرسة، ورد هذا الزحف الماكر.

**الخاتمة:**

بعد أن تدبرت في آيات من كتاب الله الكريم في نماذج من الخطاب التربوي للمرأة، جمعت ما توصلت إليه من معانٍ جميلة وحكم جليلة في خاتمة أجزائها فيما يأتي :

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

- التفات القرآن الكريم إلى قضية الخطاب مع المرأة لأهميته في بناء المجتمع المسلم، والدعوة إليه ليكون أسلوب التعامل الأمثل في المجتمع المسلم.
- إن القاصص القرآني للمرأة جاء ليخرج عقلها من الأزمة التي كانت تعيشها قبل نزول القرآن، وينتقل بها إلى مرحلة الرؤية السليمة التي تعطي لها الفرصة للفكر والاستجابة لمتطلبات الحياة، مع إعادة بناء المنظومة الفكرية والثقافية لكل حياتها بوعي وفهم دقيق، ونظر إسلامي قادر على ملاحظة جميع المؤثرات التي تعوق حركتها في الحياة، فحدد لها المقاصد والغايات وأشار إلى الكليات التي تجعل المرأة تحيا حياة إنسانية مع الواقع، فتكشف التناقضات الداخلية في المجتمعات قبل الإسلام.
- إن المرأة تمتعت بمزايا كثيرة في عصر المصطفى ﷺ منها مخاطبة الرسول ﷺ ومناقشتها له في القضايا التي تعن لها وتظهر في حياتها، وتصر على المخاطبة والنقاش حتى تصل إلى نتيجة مقبولة ومرضية تعود بالنفع عليها وعلى أسرتها.
- إن الخطابات التربوية لها أهمية بالغة بالنسبة إلى تربية الفرد والمجتمع، وهذا ما تعمل التربية الإسلامية على تحقيقه، فالخطابات التي تم استخلاصها من القاصص القرآني تتعامل مع الإنسان من جوانبه المختلفة في واقعية كاملة؛ لأنها تتبع من داخل الإنسان، وبذلك يمكن حل المشاكل التي تصادف المجتمع في قضية المرأة من خلال تطبيق هذه الخطابات.
- إن الإسلام وحده هو المنهج الوحيد الذي يحمل للبشرية سر سعادتها وللمرأة على وجه الخصوص الذي قدم لها كافة الضمانات لحمايتها إنسانة ورعايتها طفلة، وقبول الأعمال الصالحة منها.
- إن أعداء الإسلام قدموا المرأة لتكون أعظم فتنة يفسدون من خلالها المجتمع الإسلامي، ومن ثم كانت أول الأهداف لإطلاق عنان الغرائز والشهوات والتمسك بالمظاهر والتقليد الأعمى ونشر الرذيلة، فيجب على المرأة أن تنتظر

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتني

في فكر هؤلاء الأعداء، ثم تقرأ تربية الإسلام فتتضح لها الحقيقة، بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي كرم المرأة وأحاطها بثياب الطهر والعفاف والصيانة والتكريم والاحترام.

- إن المرأة حملها الإسلام كافة أنواع المسئوليات التي تتوافق مع طبيعتها وتتاسب مع مواهبها.

- معالجة الخطاب مع المرأة في القرآن الكريم لتفادي كثير من الأخطاء الاجتماعية التي يقع فيها الناس في هذا العصر، مثل: العنف الأسري، وعدم مشاورة النساء، وحرمانها من ميراثها الشرعي، وحقوقها الربانية، وتقليص حرياتهن بسبب الخوف من الخطأ.

- تعزيز الأمن الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق الخطاب مع المرأة، والإفادة من الطبيعة الأنثوية والمواهب الربانية التي وهبتها المرأة في أصل خلقها الكريمة، وتهذيب القرآن الكريم لها بالتشريعات الحكيمة والأخلاقيات الكريمة.

- تفضيل أسلوب الخطاب مع المرأة في القرآن الكريم على غيره من أساليب البيان القرآنية، دلالة على جمال هذا الأسلوب وأهميته للمجتمع المسلم، لمعالجة الانحراف العقدي والاجتماعي والنفسي لدى كثير من الناس.

### التوصيات والمقترحات:

1- دراسة موضوعات الخطاب في القرآن الكريم لتكون دليلاً وهدياً ومرشداً لفتح نوافذ الخطاب في مجالات المجتمع بأكمله.

2- تأصيل ثقافة الخطاب مع المرأة، لمواجهة التحديات الكبيرة التي تزعم بانتقاص حقوق المرأة في المجتمعات، إما بالجري وراء دعاوى المنظمات المدنية، وإما بالتحرر من الأحكام الشرعية بسبب سوء الفهم لأحكام المرأة في الشريعة الربانية الحكيمة.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور،...

- 3- تتقية كتب التراث من الشوائب التي علقت بها حتى يتسنى فهم المعلومة على الوجه الصحيح، وإلا فالخوف على الإسلام وأهله من أمثال هذه الشوائب.
  - 4- الفهم الدقيق والعميق لما جاء في كتب تراثنا من أحكام وقضايا حتى نعرف أحكام شريعتنا كما بيّنها الشارع الحكيم، للرد على ما ظهر في عصرنا الحاضر من قضايا تمسّ جوهر الدين وثوابته، ولاسيما قضية المرأة.
  - 5- دراسة تتعلق بمواجهة التحديات التي تعاني منها المرأة المسلمة في الدول غير المسلمة مع بيان كيفية إعدادها إعداداً يحافظ على عقيدتها مع تأديتها لمطلوب الإسلام.
  - 6- القيام بدراسة علمية تتناول الجوانب التاريخية في تربية المرأة المسلمة منذ عصر صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، وتتبعها تتبعاً تحليلياً دقيقاً يُمكن من معرفة مسار هذا الفكر ومكوناته، والعوامل المؤثرة فيه، ورصد الإيجابيات والسلبيات، وذلك من أجل الإفادة منه وإغناء الرؤية المعاصرة به، والبناء عليه وتجاوز سلبياته.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على الحبيب الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

### هوامش البحث:

1. لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، تنسيق وتعليق: علي شيري، ط:2، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1412 هـ - 1992 م، باب: خ . ط . ب، 1 / 360.
2. مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط: 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م، 1 / 295 .
3. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، ط:2، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، بدون تاريخ النشر، 21 / 173 .
4. الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الألفايل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط : 1، مكتبة العبيكان - الرياض، 1418 هـ - 1998 م، 4 / 82 .
5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 15 / 309 .
6. سلم الوصول لشرح نهاية السول، محمد نجيب المطيعي حاشية بنهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، للشيخ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي، عالم الكتب، بدون تاريخ النشر، 1 / 48 .
7. اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - البيضاء، 1998م، ص : 215 .
8. لسان العرب، ابن منظور، 14 / 306، باب: ر. ب . ا .
9. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط : 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965 م، 3 / 362 .
10. لسان العرب ، ابن منظور، 14 / 307، باب: ر. ب . ا .

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

11. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: المخزومي والسامرائي، مكتبة الهلال، بدون تاريخ النشر، 8 / 257، باب: ربّ .
12. مقدّمة في التربية، ابراهيم ناصر، مكتبة الغول، عمان - الاردن، 1978م ، ص: 11 .
13. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن مرعشلي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1998 م، 1 / 28 .
14. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ النشر، ص : 148 .
15. المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، عبد العزيز المعاينة، ط: 1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2006 م، ص : 14 .
16. الخطاب التربوي الإسلامي، سعيد إسماعيل علي، سلسلة كتب الأمة، عدد (100)، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م، ص: 26 .
17. طبيعة الخطاب التربوي السائد ومشكلاته، عبد الغني عبود، إسلامية المعرفة ، العدد (29)، بيروت، 2002م، ص : 48 .
18. التوجهات الفكرية في الخطاب التربوي لمجلة التربية المعاصرة، جابر محمود طلبه ، المؤتمر السنوي الحادي عشر لقسم أصول التربية، جامعة المنصورة، 1994م، ص: 18.
19. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: عبد العزيز عبد الله بن باز، ط: بلا، دار الفكر، بدون تاريخ النشر. 138/9.
20. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط : بلا، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1402هـ-1982م، 3/141.

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

21. لمعرفة المزيد عن تفسير الآية السابقة، ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: 3، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1978م، 18 / 120-121، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 220-214/12، وينظر: تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط: بلا، دار الفكر، بدون تاريخ النشر، 293/3، 294، وينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، ط: 11، دار الشروق، بيروت، 1405 هـ، 2513/4، 2514.
22. وجأ : ضرب، وجأت: ضربت، لسان العرب، ابن منظور، باب و. ج . أ، 190/1.
23. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير الرجل امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، ح (1478)، ط : بلا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ النشر، 1103/2.
24. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 480/3.
25. الحبير: كل شيء زين وحسن، الحبرة: المبالغة فيما وصف بجميل، لسان العرب، ابن منظور، باب حبر، 157/4.
26. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، 301/3.
27. ولهذا لم يشرع للمرأة الأذان لأنه يتطلب رفع الصوت، ولم يشرع لها رفع الصوت، ينظر: في ذلك المغني والشرح الكبير على متن المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، للإمامين: موفق الدين وشمس الدين ابني قدامة، ط: بلا، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1414هـ-1994م، 468/1، وينظر: كذلك المجموع شرح المذهب، للنووي، ط: بلا، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ النشر، 100/1.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

28. ينظر: الحجاب، لأبي الأعلى المودودي، ط: بلا، دار التراث العربي، بدون تاريخ النشر، ص 132 - 133.
29. ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، ت: 1360هـ، ط: 2، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 192/1، 193.
30. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 482/3.
31. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، ح(567)، ط: بلا، طبعة جمعية المكنز الإسلامي، 1421هـ، 2000م، 100/1.
32. وفي ذلك لفته جميلة، وهي أن "المقربين والصالحين لا ترتفع درجاتهم عند الله تعالى عن حق توجه التكليف عليهم، وفي هذا مقمق لبعض المتصوفين الزاعمين أن الأولياء إذا بلغوا المراتب العليا من الولاية سقطت عنهم التكليف الشرعية"، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط: 1، بيروت - لبنان، 1420هـ-2000م، 13/22.
33. ينظر: أسباب نزول القرآن، للواحي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1411هـ-1991م، ص: 370، 371، وينظر كذلك: أسباب النزول للسيوطي، تحقيق: قرني أبو عميرة، ط: بلا، مكتبة نصير، القاهرة، 1403هـ-1983م، ص: 219، 220.
34. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، 11/22.
35. كاسيات عاريات: أي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 223/15، مادة (كسا).
36. مائلات: أي عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، ومميلات: أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: 676هـ، ط: 2، دار احياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ النشر 110/14 (بتصرف).

## أ. آمال الصادق عبدالله البشتي

37. البخت: هي الإبل الخرسانية، والسنام: كتل من الشحم محدبة على ظهر البعير، والسنام من كل شيء أعلاه، ينظر: المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ط: بلا، مجمع اللغة العربية، 1989 م، ص: 324، والمراد أنهم يصنعن برءوسهن من الزينة من قص الشعر أو لفه بلفافه وما شابه ذلك حتى يصير زينة كالزينة التي توضع على رؤوس الإبل.
38. صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ح(5704)، 2/929.
39. سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، ح(4106)، 2/686، وقال أبو داود هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة.
40. المرأة في الإسلام، كوثر محمود أبو عين، ط: 1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 1427هـ - 2006م، ص: 48.
41. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 17/270، وينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ - 2000م، 29/217.
42. الطفولة ورعايتها قراءات بمنظور إسلامي، محمد وجيه الصاوي، ط: بلا، كلية التربية، جامعة الأزهر، 2005م، ص: 133.
43. الحوار في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، ط: 5، دار التعارف للمطبوعات، دمشق، 1987م، ص: 80.
44. الطفولة ورعايتها قراءات بمنظور إسلامي، محمد وجيه الصاوي، ص: 138.
45. رجال ونساء نزل فيهم قرآن، محمد إسماعيل الجاويش، ط: 1، دار الغد الجديد، المنصورة - مصر، 1426هـ - 2005م، ص: 150.
46. ينظر: قصص النساء في القرآن الكريم، جابر الشال، ط: بلا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1987م، ص: 115، 116.

## الخطاب التربوي للمرأة من خلال سورة النور...

47. مغافير: صمغ يسيل من شجر (العرفط) طعمه حلو غير أن رائحته ليست بطيبة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 3276/5، مادة (غ ف ر).
48. رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب الطلاق، باب ﴿لَمْ تُحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، ح(5267)، 287/9، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، ح(1474)، 73/10.
49. السيدة مارية القبطية - رضي الله عنها - أم إبراهيم.
50. رواه النسائي في السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، ت: 303هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب الطلاق، باب تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، ح(3959)، ط: 2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ - 1986م، 151/6.
- ورواه الحاكم في المستدرک، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: 405هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليقات الذهبي، كتاب التفسير، باب تفسير سورة التحريم، ح(3824)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1411هـ - 1990م، 535/2. فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط: 1، دار الوفاء، 1415هـ - 1994م، 252/5.
51. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 525/8.
52. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، 102/12.
53. قبس من نور القرآن، محمد بن علي الصابوني، ط: بلا، طبعة دار القلم، دمشق، بدون تاريخ النشر، 158/14.
54. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، حققه: محمد أبو الفضل، ط: 1، دار إحياء الكتب العربية، 1378هـ - 1959م، 32/1.
55. في ظلال القرآن، سيد قطب، 3616/6.

{ **أ. آمال الصادق عبدالله البشتي** }

56. في رحاب الأنبياء والرسل، عبد الحليم محمود، منشورات كتاب اليوم، القاهرة، 1977م، ص: 72.
57. قصص النساء في القرآن الكريم، جابر الشال، ط: بلا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1987م، ص: 19.
58. مقدمة في فلسفة التربية، محمد لبيب النجحي، ط: 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م، ص: 181.
59. إسلامنا، السيد سابق، ط: 2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1967م، ص: 32.